ثلاث من كن فيه

وجد حلاوة الإيمان

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١ جمادى الأولى ١٤٣٦ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الإنسان في الدنيا يتذوّق الحلاوة الحسية بلسانه، ويجد لها لذّة، وهذه اللذة والحلاوة الحسّيّة -يا عباد الله- يجدها المؤمن والكافر، إلا أن في الدنيا حلاوة معنوية لا يجدها إلا المؤمن، يجدها بقلبه، فيمتلئ قلبه سعادةً وانشراحًا وسُرورًا.

تلك الحلاوة -يا عباد الله- أحلى وأعلى من الحلاوة الحسّيّة، لا تدانيها حلاوة العسل والسكر ولو جُمعت، إنها حلاوة الإيمان.

فالإيمان قولاً واعتقادًا وعملاً له حلاوة -يا عباد الله- تخالط القلب، وتَسكُن القلب، وتطيب بها الحياة، إلا أن هذه الحلاوة لا يستشعرها حق الاستشعار ولا تَكمُل سعادةُ المؤمن بها إلا إذا اتصف بصفات ثلاث، بيّنها نبينا ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث مَن كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار**»، وفي رواية عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يجد المرء**

حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يُقذف في النار أحبّ إليه من أن يَرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما».

صفات ثلاث -يا عباد الله- مَن حقّقهنّ وجد لذة الإيمان وسعادة الإيمان، وانشرح صدره.

أولها: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما.

حب الله ﷻ فوق كل حب، وإليه يرجع كل حب مشروع، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥]، وحب رسول الله ﷺ فوق كل شيء في الدنيا، يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»، ويقول ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه».

وحبّ النبي ﷺ -يا عباد الله- حُبٌّ لله ﷻ، ولا يجوز أبدًا أن يكون حُبًّا مع الله ﷻ، والفرق بينهما -يا عباد الله- أن حب النبي ﷺ لله هو أن تحبّه -يا عبد الله- لأنه رسول الله ﷺ، شرّفه الله ﷻ بالرسالة، وألا ترضى أن يُنال بسوء أبدًا، ولا بكلمة أبدًا، وأن تَغار عليه، وأن تُثبِت له كل ما جعله الله ﷻ له، أما الحب الممنوع -حب رسول الله ﷺ مع الله- فهو أن تجعل لرسول الله ﷺ ما لم يجعله الله له، أو أن تَصرِف له شيئًا مما لله ﷻ، بزعم أنك تحب رسول الله ﷺ.

وأضرب لكم -عباد الله- مثلاً يتّضح به المعنى، ففي موت النبي ﷺ المُحِبّ لرسول الله ﷺ لله -المحب لرسول الله ﷺ الحبّ المشروع- يعتقد أنه ﷺ مات كما يموت الناس، وأنه مقبور في قبره، إلا أنه ﷺ لا تأكل الأرض جسده أبدًا، وأنه ﷺ تبلغه صلاتنا عليه، وأنه ﷺ إذا سَلَّم عليه أحدٌ ردّ الله إليه روحه حتى يردّ عليه السلام، وأنه ﷺ لا يخرج من قبره حتى يبعثه الله ﷻ.

أما المحب للنبي ﷺ حُبًّا غير مشروع: فقد يعتقد أن النبي ﷺ لم يمت، وأنه حيّ لا يموت، والعياذ بالله، أو يعتقد أن النبي ﷺ يخرج من قبره، ويخالط الناس، ويحضر مجالس الذكر، وغير ذلك من الصفات التي لم يأت بها دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، فإن هذا غلو نهى عنه النبي ﷺ، ومُحال أن يفعل المحب ما نهى عنه النبي ﷺ من الغلو.

فينبغي عليك -يا عبد الله- أن تحب رسول الله ﷺ حُبًّا لله ﷻ.

وحبّ الله وحبّ رسوله ﷺ من أعظم علاماته: أن تقدّم محبوب الله على كل محبوب، وأن تقدّم محبوب رسول الله ﷺ على كل محبوب، وأن تقدّم مطلوب الله تعالى على كل مطلوب، وأن تقدّم مطلوب رسول الله ﷺ على كل مطلوب، ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤].

والصفة الثانية يا عبد الله: أن تحب المرء لا تحبه إلا لله.

ديننا -يا عباد الله- دين القلوب، دين المحبة، فالحب في الله ﷻ، والحب لله عزو جل، له منزلة عظيمة، وفضيلة كريمة، يقول النبي ﷺ: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابّون بجلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظلّي، يوم لا ظلَّ إلا ظلّي»، ويقول النبي ﷺ: «يقول الله ﷻ: وجبت محبّتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ».

وإنك -يا عبد الله- إذا أحببت العبد لله ﷻ فقد استكملت الإيمان، فالحب في الله، والحب لله ﷻ، له منزلة عظيمة.

الحب لله يا عبد الله: أن تحبّ العبد لما يحبّه الله ﷻ، أن تحبّ العبد لدينه وصلاحه، لا يزداد هذا الحب إلا لله، ولا يَنقُص إلا لله ﷻ، لا تزيده الدنيا، ولا تُنقِصه الدنيا، لا يَزيده قُرب ولا يُنقِصه بُعد، لأنه لله ﷻ.

وهذا الحب -يا عباد الله- يحتاج أن يُغذَّى بما يُثبّته ويُنمّيه، بالأقوال الرائقة والأفعال الصادقة، يقول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»، ويقول ﷺ: «إذا أحبّ أحدكم أخاه فليُعلِمه أنه يحبه»، وفي الحديث الذي ذكرناه قال النبي ﷺ: «إن الله يقول: وجبت محبتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»، وإنك -يا عبد الله- إذا تأملت هذا الحديث وجدت الثلاث الأخيرة تُقوّي الحب في الله، وتُثبّت الحب في الله، فالمجالسة في الله، والتزاور في الله، والإنفاق على الأحبة في الله، سبب للمحبة وزيادتها وتثبيتها.

فالحب في الله -يا عباد الله- لا بد له من أقوال صادقة وأعمال صادقة يزداد بها ويَثبُت بها، وهنيئًا ونعيمًا للمتحابّين في الله ﷻ.

والصفة الثالثة يا عباد الله: أن يكره العبد أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار، وهذا -يا عباد الله- يدخل فيه ثلاثة أصناف:

- أما أولهم: فمن كان كافرًا ثم أنقذه الله من الكفر وأنعم الله عليه بالإيمان، فهو يُبغض الكفر بغضًا شديدًا، ويحب الإيمان حبًّا شديدًا، ويكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار الحامية المُلتَهِبة.
- وأما الثاني يا عباد الله: فهو مَن كان من أمثالكم، أنعم الله ﷻ عليه بالإسلام، فوُلد مسلمًا، وعاش مسلمًا، وهو يكره الكفر ويُبغض الكافرين، يبرأ إلى الله من الشرك، ويبرأ إلى الله من المشركين، ويكره أن يُعاد إلى الكفر كما يكره أن أن يُقذف في النار.
- وأما الثالث يا عباد الله: فهو العبد المُذنب الذي كان يفعل معاصي كبيرة، ثم أنعم الله ﷻ عليه فتاب من تلك المعاصي وأقلع عنها، وهو الآن يكرهها ويُبغضها، ويكره أن يعود فيها كما يكره أن يُقذف في النار.

فكل هؤلاء -يا عباد الله- يدخلون في هذه الصفة الكريمة، «وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار».

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن دينكم دين القلوب، ليس دين كثرة الكلام، ليس دين التجمّل بلا شيء في القلب، وإنما هو دين القلوب يا عباد الله، فتأملوا قلوبكم، وحاسبوا أنفسكم، وتدبّروا أين أنتم من هذه الصفات، بالصدق والعمل، لا بالتمني والتحلي من غير أن يُصدّق ذلك العمل.

أين أنتم من حبّكم لله وحبّكم لرسول الله ﷺ؟

أين أنتم من حبّكم للمؤمنين؟

أين أنتم من بغضكم للكفر والكفّار، وبغضكم للمعاصي، وبغضكم أن تكونوا من أهلها؟

تأمّلوا -عباد الله- وتدبّروا، وجاهدوا أنفسكم، واحرصوا على أن تكونوا من أهل هذه الصفات، لتكونوا من أهل السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن المرأة المؤمنة الديّنة الصيّنة العفيفة الطاهرة لها نصيب من الحلاوة المعنوية في الدنيا لا يشاركها فيه غيرها، وذلك لعظيم منزلتها وعظيم أثرها في المجتمع، يقول النبي ﷺ: «لو أَمرت أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، مِن عظم حقّه عليها، ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها».

نعم -يا عباد الله- إن المرأة المؤمنة التي تطيع الله عز وجل، وتطيع رسول الله ﷺ، إن هذه المرأة تعلم أن من الواجبات عليها أن تؤدي حق زوجها، وأن تطيعه في غير معصية الله عز وجل، وفي غير الضرر، فإذا أمرها بما ليس فيه معصية ولا ضرر ظاهرًا فيه، فإنه يجب عليها أن تطيعه، فإذا فعلَت ذلك -يا عباد الله- وجدت حلاوة الإيمان، فكانت في الدنيا في جنة وسعادة، ونعيم وهناء وسرور.

والله يا عباد الله، والله يا عباد الله، إن الأسر لا تستقر ولا يستقيم حالها حتى يؤدي كل واحد من الزوجين حق صاحبه طاعةً لله سبحانه وتعالى، وإن قيام المرأة بحق زوجها عليها لأعظم تأثيرًا وأكبر تأثيرًا في الحياة الزوجية.

والمرأة المؤمنة -يا عباد الله- إذا فعلت هذا كانت في الجنة يوم القيامة، يقول النبي ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئتِ».

كم نحن -يا عباد الله- بحاجة إلى هذه المرأة الديّنة المتعبّدة المحافظة على الصلاة والصيام، المحافظة على فرجها، المحافظة على أسباب حفظ فرجها، فهي متحجّبة متستّرة، لا تُبدي زينتها، ولا تَمُدّ بصرها

إلى ما حرّم الله ﷻ، وتحفظ فرجها من أن يُنال بسوء من قريب أو بعيد، وأن تطيع زوجها لتستقيم الحياة وتستقيم الأسر!

فالله أكبر أيتها المرأة المؤمنة، إن النبي ﷺ جعل لكِ هذا النصيب من الحلاوة الإيمانية، فتمسّكي به، وإياكِ -يا أُختاه- أن تفرّطي فيه، أو تُضيعيه.

ثم اعلموا -عباد الله- أن الله ﷻ أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فأكثروا -عباد الله- من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وطيّبوا حياتكم بهذا، فإنه من أعظم القربات التي تتقرّبون بها إلى الله ﷻ.

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين، اللهمّ اجعلنا من المرضيّين.

اللهمّ إنا قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة عظيمة من فرائضك، اللهمّ فارض عنّا أجمعين، اللهمّ فارض عنّا أجمعين، اللهمّ فارض عنّا أجمعين.

اللهمّ أعتق رقابنا أجمعين من النار يا رب العالمين، اللهمّ أعتق رقابنا أجمعين من النار يا رب العالمين، اللهمّ أعتق رقابنا أجمعين من النار يا رب العالمين، اللهمّ واجعلنا ممن يتزاورون في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ واجعلنا ممن يتزاورون في الجنة يا رب العالمين، اللهمّ واجعلنا ممن يتزاورون في الجنة يا رب العالمين.

اللهمّ اجمعنا ووالدينا وأهلنا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ اكتبنا من أهل الجنة أجمعين يا رب العالمين، اللهمّ حرّم أجسادنا على النار، اللهمّ حرّم أجسادنا على النار، اللهمّ حرّم أجسادنا على النار.

اللهمّ اجعلنا من المتحابّين فيك يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا من المتحابّين فيك يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا من المتحابّين فيك يا رب العالمين.

اللهمّ هيّء لنا أسباب الاجتماع وأعذنا من الفرقة يا رب العالمين، اللهمّ هيّء لنا أسباب الاجتماع وأعذنا من الفرقة يا رب العالمين، اللهمّ هيّء لنا أسباب الاجتماع وأعذنا من الفرقة يا رب العالمين.

اللهمّ طهّر قلوبنا من الحقد والحسد يا رب العالمين، اللهمّ طهّر قلوبنا من الحقد والحسد يا رب العالمين، اللهمّ طهّر قلوبنا من الحقد والحسد يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا مباركين يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا مباركين يا رب العالمين، اللهمّ بارك لنا في أعمارنا، اللهمّ بارك لنا في أجسادنا، اللهمّ بارك لنا في عافيتنا، اللهمّ بارك لنا في أعمالنا، اللهمّ بارك لنا في ذرّيّاتنا، اللهمّ بارك لنا في بيوتنا، اللهمّ بارك لنا في جيراننا، اللهمّ بارك لنا في بلادنا، اللهمّ بارك لنا في ولاة أمرنا يا رب العالمين.

اللهمّ وفّق ولاة أمرنا لما تحبّ وترضى، اللهمّ وفّق ولاة أمرنا لما تحب وترضى، اللهمّ وفّق ولاة أمرنا لما تحب وترضى.

اللهمّ اجعلنا من خير الرعية، واجعل ولاتنا من خير الولاة في هذا الزمان يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تكرمنا بأن نحب للمسلمين ما نحب لأنفسنا يا رب العالمين.

اللهمّ أنزل الأمن في ديار المسلمين يا رب العالمين، اللهمّ أنزل الأمن في ديار المسلمين يا رب العالمين، اللهمّ أنزل الأمن في ديار المسلمين يا رب العالمين.

اللهمّ اهد ضالّ المسلمين، اللهمّ اهد ضالّ المسلمين، اللهمّ اهد ضالّ المسلمين يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].